



بسم الله الرحمن الرحيم الملمم الموهوب الإمام الشهيد حسن البنا في ذكرى مئوية ميلاده (1906 - 2006)



نشرة دورية ، تصدر كل اسبوعين عن " رسالة الإخوان "

حسن البنا
نسر يخفق بجناحيه في سماء الناس
((13))

صفحة بليغة وقصيرة مرّت كومض البرق في كتاب حياة فتانا حسن بن عبد الرحمن البنا المضيء بنورانية المعرفة، لم يقف أمام هذه الصفحة الناس كثيرا رغم وميض البرق ا خاذ فيها، ففتانا الذي كان في العشرينيات من عمره قد تركزت زعامته وأصبح مثار اهتمام حكومة بلده ومحط أنظار الناس والقوى الخارجية وعرفته مجالس العلم والعلماء ودواوين أهل السياسة والمشتغلين بالعمل العام .. وخبرته ندوات العلم ودروس المساجد، تُقبل عليه أطراف من البشر يلتمسون عنده العلم والمعرفة ويطلبون منه النصح والإرشاد .. ومع ذلك فإن إرادة البارئ المصور الخالق لهذا العبد من عباده شأته أن تمتلئ هذه الصفحة الصغيرة القصيرة فصر عمر صاحبها على هذه ا رض بضوء السعي إلى المعرفة التي يتميز بها عارف بجلاله سبحانه .. فلا يغتر بزعامه فرضها تلاميذه وحوار يوه عليه .. ولا يغتر بعلم خلت ساحته المحدودة من حوله من المنافسين له فيه، لتبقى نفس وروح حسن البنا هي روح الداعية إلى الله الطالبة للمعرفة والمستزيدة منه إذا سئحت الفرصة، المحتاجة بالاح إلى عون الله وحده وتسيده وإرشاده لا ليرتفع بهذه الروح إلى مرتبة الزعامة بين الناس التي يهلك على أعتابها الكثيرون .. ولكن ليسمو بها أملا في رضاء الله فضعه على عتبات العبودية الخالصة لملك يوم الدين .. الله رب العالمين، حيث الحياة الباقية والخلود.

قدّر الله عز وجل يجري على عباده وفي ملكوته لتكتمل حياة إمامنا بما قدره الله لها .. فيتجبر المحتلون الفرنسيون في سوريا تجاه الثورة الشعبية التي واجهت احتلالهم ويقومون بنفي من قال عنه الإمام "العالم الفاضل المجاهد الشيخ محمد سعيد العرفي عالم دبر الزور ونائبها السابق في مجلس النواب السوري، وثأرها على الظلم والاحتلال الفرنسي، وقد صادر الفرنسيون أملاكه وكتبه وحكموا عليه بالنفي" ويسترسل إمامنا في وصف الرجل دون إجحام بسبب غيرة تتملك أمثاله من الزعماء في هذه المواقف أو خوفا من منافسة تضعف مكانته بين جماعته فيقول " .. وتعرفنا إلى الرجل فعرفنا فيه صدق الدين وقوة اليقين، والعلم الواسع في المعقول والمنقول والشجاعة والنجدة وعلو الهمة .. ويجري القدر بما يشاء فيسوق ذلك العارف بالله سبحانه إلى مدينة الإسمايلية في وقت كان يجب أن يجري لإكمال عدة إمامنا الشهيد فيلنقي بمن ينصح به ويتعلم منه بعد أن باعد واقع العمل بينه وبين الناس في مجال العلم والتلقي وأصبح النصح والإرشاد والفتوى والعلم في اتجاه واحد فقط منه إلى الناس وليس العكس، فيلنقي العارفان لقاءً تحكيه ورقة من حياة الإمام، ولولا الحياء من الله عز وجل ومقام النبوة والرسول لقلنا أنه صورة من لقاء كليم الله موسى عليه صلوات الله وسلامه بالعبد الصالح الذي وردت تفاصيله في سورة الكهف لتنبؤ في حكمة غيب الله وقدره ولتأكد في نفس إمامنا الذي ليس بنبي ولا رسول معاني لا يصلح الداعية إلى الله السائر في ركب أتباع الرسل والرسالات السماوية إلا بها، فيتعلم أن سبر أسرار الكون ومجريات القدر ستظل عصية على البشر مهما بلغت منزلتهم وأن "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها" عندما يضيق صدره باعتراض إخوانه على أن يتم بناء المسجد الذي سعى إلى بناؤه وجمع له مالا حلالا من أموال الناس دخل عليه مبلغ خمسمائة جنيه تبرعت بها شركة قناة السويس بعد أن تبرعت بأضعاف أضعافه (نصف مليون جنيه) لبناء كنيسة في نفس المدينة رأى هو أن هذا المال من أموال الشعب المصري فلا حرج في أن يبني بها المسجد ورأى إخوانه غير ذلك وكذلك رأى الناس وكادت أن تحدث فتنة بسبب اختلاف الاجتهاد الفقهي فجاءته المشورة من السيد محمد سعيد العرفي بوضع المبلغ في معهد للعلم والتعلم اختار له الرجل اسم "معهد حراء الإسلامي" تيمنا باسم (غار حراء) الذي كان يخلو فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متأملا قبل البعثة لتخدم الفتنة التي كادت أن تشتعل وتهدأ النفوس، ويعي إمامنا درس ويُعلم إخوانه أين يجدون ضالته.

دروس أخرى تعلمها إمامنا من الزائر الغريب لمدينة الإسمايلية أشار إليها في مذكراته باعتزاز وبتواضع العارف بالله حين يقول أن هذا الزائر الذي لم يكن ينم من الليل إلا قليلا كان يطرق عليه وعلى إخوانه أبوابهم قبل الفجر بندائه "فيقوا فيقوا إن بعد الحياة نوما طويلا" ليقوموا ويصلون حامدين الله عز وجل شاكرين له صنيعه.
صفحة بليغة وقصيرة مرّت كومض البرق في حياة مرشدنا ا ول الإمام الشهيد حسن البنا أبى إلا أن يخط حصادها بيديه ليجعلها من ميراثه تباعه يتحدث فيها عن رجل عارف بالله حديث التلميذ - وهو من هو - المتلقي للعلم عن أستاذه حفظ منها من أقوال ذلك العارف قوله: " .. العالم معلق بخيوط من الوهم، وإنما يكشف الإيمان وحده الحقائق أمام المؤمنين، ولهذا ينتصرون وإن ضعفت قوتهم، ويهزم غيرهم وإن استعد، ومن هنا كان الإيمان أقوى أسلحة العاملين في الحياة" .. ومن هنا أيضا شاء الله عز وجل أن تقف أجيال جماعة الإخوان المسلمين أمام سر من أسرار الغيب تعلمته وحفظته من لقاء جمع بين العارفين .. ليمضي بعد ذلك كل منهما إلى ربه .. ويبقى إمامنا في واقع الدنيا كلها إلى ما يشاء الله .. نسر يخفق بجناحيه في سماء الناس.

((6))

أعتقد: أن المسلمين جميعاً أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية، وأن الإلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعاً.
وأتعهد: بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين، وإزالة الجفاء والإختلاف بين طوائفهم وفرقهم.
الإمام حسن البنا



في هذا العدد
حسن البنا ...
الداعية والمربي

باحثة ألمانية تعيد اكتشاف
الغرب لكبرى الحركات الإسلامية
((2))
كان لله بكليته

لا إله إلا الله مهج حياة
((3))

الملمم الموهوب ..
الإمام حسن البنا
تصدر عن:
"رسالة الإخوان"
113 Cricklewood
Broadway
London NW 2 3JG
Tel: 0208 2084583
FAX: 02082084283
Email:
banah100@hotmail.com

حسن البنا ... الداعية والمربي

"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"

((2))

نظرته إلى إقامة الدولة :

لابد عنده " أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القوية، وتبلغ دعواته الحكيمه للناس، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعا آمنون، ومسئولون بين يدي الله العلي الكبير عن تقصيرهم في إقامتها، وقعودهم عن إيجادها .. ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دول تهتف بالمبادئ الظالمية، وتنادي بالدعوات العاشمة، ولا يكون في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والإسلام ".
لقد زاد هذا المعنى وضوحا حين قال : " قد يكون مفهوما أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ انصياعا ولمر الله وتنفيذا حكماءه وإيصالا ياتيه وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ... أما والحال كما نرى ، التشريع الإسلامي في واد ، والتشريع الفعلي والتنفيذي في واد آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف "

خطر الفرقة

ربى الإمام الإخوان على وحدة القلوب وتعاقد أرواح .. وكان يقول: " إن أكبر أمراض المسلمين الفرقة والخلاف، وإن أتجج دواء لهم " الوحدة الإسلامية " .. واختار للجماعة أحب أسماء إليه " الإخوان المسلمون " .. وكان يقول: "إني أمقت الخلاف في جميع صورته وألوانه فلا خير فيه أبدا" .
فاخوة أخت الإيمان، والتفرق أخو الكفر ... وكان يقول: " لئن نجتمع على قليل من الخطأ، خير من أن نتفرق على كثير من الصواب " .
وكان يقول " : إن الناس إذا رأوا رجلا واحدا انحرف عن الصف لا يقولون رجل انحرف بل يقولون : صف أوج "

ويقول أستاذ الشهيد سيد قطب عن عقريه الإمام في التربية والبناء والتنظيم: "في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور وحكمة مدبرة في كتاب مستور " حسن البنا " .. إنها مجرد مصادفة أن يكون لقبه هذا، ولكن من يقول إنها مصادفة والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء وإحسان البناء بل عقريه البناء .
لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثير من الدعاة غير البنا، وما كل داعية يملك أن يكون بناء ، وما كل بناء يوهب هذه العقريه الضخمة في البناء ، هذا البناء الضخم : الإخوان المسلمون .

إنه مظهر هذه العقريه الضخمة في بناء الجماعات، إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس استجاش الداعية مشاعرهم ووجداناتهم فالتفوا حول العقيدة .. إن عقريه البناء تبدأ في كل خطوة من خطوات التنظيم، من أسرة إلى الشعبة إلى المنطقة إلى المكتب الإداري إلى الهيئة التأسيسية إلى مكتب الإرشاد.
ترى كانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه أم أنها الإرادة العليا التي تنسق في كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدرات في توافق واتساق "

و أستاذ الإمام من القلائد الذين أدخلوا فكرة التنظيم ضمن مفهوم الإسلام الشامل كوسيلة لتحقيق هذا المفهوم في الواقع .
ويلاحظ أن فكرة التنظيم خاضعة لمقاييس مضبوطة للانتقال من درجة إلى أخرى، ولكل درجة مصطلح خاص يعبر عنها .. وكلها منتقاة من أعمال السلف وواقع السنة وسيرة الرعيل الأول رضوان الله عليهم جميعا .

نظم التربية

الجهاد في الإسلام .. ليس ألفاظا ولا أحلاما ، ولا أمانى... بل هو عمل شاق ، وصبر مرير وإخلاص وتفان ، وإعداد متين .. قال تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " ...
لذلك خطط الإخوان أنفسهم منذ فجر الدعوة طريق الإعداد السليم، وتركوا منهج البناء والتكوين الموصل إلى الجهاد.. فإن الدعوة في حاجة إلى رجال علميين يفهمونها جيدا، ويطبونها بأمانة على أنفسهم وأهليهم وإخوانهم ... ولهذا كان النظام الكشفي والمعسكرات ... وقد وضع الإخوان المسلمون لذلك نظاما ولوائح توجد في رسائلهم .

وعلى أثر انضمام عدد كبير إلى الجماعة، خاصة طلاب الجامعة، بدأت المجموعة الأولى تتكون من 10 أعضاء يتولى الإمام بنفسه تعليمهم - وفي نفس الوقت بدأ تكوين نظام الكنائس .

نظام الكنائس نظام فريد مبتكر، ولعل أستاذ المرشد قد اشتقه من اجتماعات دار رقم بن أبي رقم حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع المؤمنين به في ذلك الوقت المبكر - وكانوا قلة - فينتهم ما عنده، ويفضي إليهم بذات نفسه يأخذهم بأسلوب من التربية الروحية العالية حتى خرج من تلك الدار المتواضعة من كانوا أعلام الهدى ومن حملوا شعلة النور الإسلامي فأضاءوا جنبات الدنيا .
وكان من روعة هذا النظام أننا كنا نرى قائدنا وإمامنا لا يتميز عنا بشيء من مآكل ولا مشرب ولا ملابس ولا منام بل كان هو أكثرنا تضحية حيث كنا في ذلك الوقت عزابا وكان هو يترك بيته وزوجته وأولاده، المر الذي زادنا حبا له وإجلالا .
وأثر هذا النظام وروعه لا يكاد يحس بمعقها في النفوس، ولا يمتازها بالقلب إلا من كابدته وعاناه وحسب أن تتصور إنسانا خرج من بيته مهاجرا إلى مكان ما، وفي هذا المكان تجرد من مظاهر الدنيا فاتخذ أراض فراشه، وحذاءه وسادته، ثم في وقت السحر قام من نومه وتوضأ وناجى ربه في سجوده ثم استمع في هدأة الليل - الظلام - إلى جزء من القرآن يتلوه متجرد مثله ثم أصغى بعد ذلك إلى حديث من قائد متجرد بيته ما في قلبه، ويهدي إليه خلاصة تجربته، ويذكره بفضل ربه، ويتركه بعد ذلك يستغفر ربه ويتوب إلى خالقه حتى يؤذن الفجر .
وبعد صلاة الفجر، في هذا الجو الروحي، وضمن هذه الجماعة الواعية المتجردة تزاول رياضة بندية عادية داخل الدور إن كان المبيت في الدور ، أو رياضة قوية كالسباق وركوب الخيل والمصارعة إن كان المبيت في ضاحية خارج الدور .
كان يوزع على أفراد الكتيبة رسالة تسمى " المنهج العلمي " وهو يضم أسماء مجموعة مختارة من الكتب في كل فن من فنون العلوم الإسلامية والتاريخية والتربوية، ويطلب من عضو الكتيبة أن يقرأ ما يستطيع من هذه الكتب لتزوده بذخيرة من المعلومات تنير له الطريق في دعوته، وتجعله أهلا لقيادة الدعوة في مختلف أماكن والظروف ...

ولا شك أن نظام الكنائس هذا هو النظام المثل للتربية نه يجمع كل وسائل التربية الحديثة التي تحدث عنها الكتب العلمية المتخصصة، والتي تدرس على أنها ترف علمي يخلق بدارسه في آفاق الخيال، جمعها هذا النظام وأخرجها إلى حيز الوجود، وطبقها تطبيقا دقيقا رائعا، وصل بها نفوسا، وتقف بها عقولا ، وسما بأرواح أصحابها سموا ملائكة، مع مزج هذه النفوس معا في بوتقة واحدة هي بوتقة الفكرة الإسلامية مزجا صاغا منها صفا متراصا متماسكا .

ومن تمام روعة هذا النظام أنه لم يكن يقتصر تأثيره على الليلة التي كانت محددة للمبيت ، وإنما كان أثره ممتدا طيلة أسبوع ، فكشفت المحاسبة أو استمارة المحاسبة كان لابد من ملء خاناتها كل ليلة والورد القرآني كان يحفظ ويكرر صباح كل يوم والوظيفة كانت تقرأ كل يوم في الصباح وفي المساء .

ثم لا يزال عضو الكتيبة في كل يوم من أيام أسبوع يعد نفسه للإجابة على أسئلة استمارة المحاسبة التي لابد أن يقف بين يديها كل ليلة قبل أن يأوي إلى فراشه، وهذه أسئلة لا تدع كلمة تكلمها ولا حركة تحركها، ولا عملا صدر منه، ولا خاطرا محس في نفسه إلا حاسبته عليه وطلبت منه الإجابة في شأنه ... ولا يزال كذلك طيلة أسبوع حتى يحين موعد الليلة التالية للمبيت بالكتيبة .

إن هذا أسلوب قد خرج ملائكة تمشي على أراض، وخرج مجاهدين لا يخافون في الله لومة لائم، وخرج علماء بهذا الدين على نور وبينه منه، ودعاة يهتدي بهم الناس ، وهم مع ذلك أساتذة كل في فنه ومهنته .

باحثة ألمانية تعيد اكتشاف الغرب

لكبرى الحركات الإسلامية

بين فرضية التهميش .. وإسقاط العام على الخاص

((2))

تطرفت الباحثة إلى عدة أمثلة انتقدت من خلالها تناول الباحثين في الغرب، وحتى بعضهم في العالم العربي، لجماعة الإخوان المسلمين. ومن بين ذلك إشارتها إلى أن فرضية التهميش كانت، ومازالت، إحدى النماذج التفسيرية المفضلة بصدد تحليل نشأة الجماعات الإسلامية الراديكالية. وفقاً لهذا النموذج التفسيري تجذب الصولية صبية مهمشين، وشباباً لا يتوفر لهم أفق للتحقق في المستقبل. ووفقاً لهذا المنظور تبدو الصولية أيديولوجية حثالة البروليتاريات والبرجوازية الصغيرة المحبطة.

وتسترد إيفيزا لوين فتقول " ينطلق رينهارد شولتسه Reinhard Schulze مثلا، الذي يُعد أحد الدارسين الجادين للإسلام في المناطق المتحدثة بالمانية، من هذه الفرضية، وذلك في سياق حديثه عن نشأة الإخوان المسلمين .. فحسن البناء، طبقاً لما أشار إليه شولتسه في دراسته عن الإسلام في القرن العشرين؛ كان مُحبطاً نه لم يحصل بعد تخرجه سوى على وظيفة مدرس في الإسماعيلية، أي في أحد الأقاليم وليس في القاهرة. ومن ثم يعتبر شولتسه أن تجربة الإحباط هذه، وإحباطات أخرى متعلقة بطولته؛ كانت أحد العوامل الذاتية التي دفعته لتسييس الإخوان المسلمين"، كما تنقل عنه بتعجب.

وتعقب الباحثة المانية على ذلك بالقول " سوف تختلف الصورة تماماً عما ذكره شولتسه؛ إذا ما قرأنا الخطابات التي أرسلها حسن البنا ابن الثالثة والعشرين من الإسماعيلية إلى والده. فالشاب كان فخوراً بحصوله على راتبه الأول، ومن ثم طلب حضور أخيه الأصغر إلى الإسماعيلية حتى يعتني بتربيته ويخفف من حمل والديه. واستطاع البنا فضلاً عن ذلك أن يندمج وبسرعة في النخبة المحلية للإسماعيلية، وأن يتزوج من ابنة أحد التجار المرموقين بالمدينة"، وتقطع لوين جراء ذلك بخطأ نظرية شولتسه، فإذن أقرب إلى أن يكون قصة نجاح وليس إحباطاً كما أشار شولتسه.

وتتشدد الباحثة على أن "هذا التعميم يصبح وخيم العاقبة في الحوارات العامة بعد 11 أيلول (سبتمبر)، وبالتحديد فيما يخص قضية العنف. ففي أغلب الدول الغربية ترسخ تصور يأخذ بهذا التطابق السهل: الإسلامية = الصولية = العنف. وعلى أساس مثل هذه الصورة رأى بعضهم أنه من المشروع اتخاذ مواقف تمييز بدون تفرقة ضد كل أشكال الإسلام السياسي وتجربتها في المجال العام، بل أخذ الرأي العام نفسه يطالب بذلك". وفتت الكاتبة انظار في هذا السياق، على سبيل المثال، إلى الحوارات المتعلقة بإمكانية حظر جماعة "ملى غوروش" التي قالت إنها قريبة من الإخوان المسلمين، والتي تعد أكبر جماعة إسلامية تركية في ألمانيا.

ولدى انتقال إيفيزا لوين إلى المناظرات الجارية في مصر؛ قالت إنها تجد نفسها إزاء معضلة من نوع آخر، فقلد صدر في مصر، ولازال يصدر، عدد لإنهائي من الكتب حول جماعة الإخوان في مراحلها الأولى. لكن نشر أكثر هذه الكتب يُعد جزءاً من الصراعات السياسية الحالية، لذا تكون تلك الكتب مؤدجلة بشدة. والقليل من هذه الأعمال ما يلتزم بالمعايير العلمية. وتأتي هذه المؤلفات لتبرير الموقف السياسي الخاص بالمؤلف، سواء كان مع الإخوان أو ضدهم.

وتسجل الباحثة أن هذا ما أدى إلى "أشياء متناقضة ومثيرة للضحك بمعنى الكلمة أحياناً". ومن بين أمثلة التي توردها ما يتمثل في رفعت السعيد، السكرتير العام لحزب التجمع اليساري، وأحد أبرز من انتقد حركة الإخوان. "فعندما يتحدث (السعيد) إلى مستمعيه اليساريين فإنه يتهم الإخوان بأنهم كانوا عملاء للبريطانيين. وهنا يشير إلى اتصالات جماعة الإخوان المسلمين بالسفارة البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية. وعندما يريد أن يبرر مطاردة الحكومة أعضاء الجماعة، فإنه يشير إلى الهجمات التي قام بها بعض الإخوان في أربعينيات على المؤسسات البريطانية وعلى العناصر المؤيدة للبريطانيين، وذلك بهدف التلذذ على الجنور الإرهابية للجماعة"، على حد ما تقول لوين.

وترى الباحثة أن "هناك أيضاً مشكلة بحثية أخرى تتعلق بالمنهجيات المستخدمة؛ فإبحاث حول الحركات الاجتماعية، والنقابات المهنية والتيارات الشبابية، أو حول تغيرات الخطاب السياسي، يتم عادة إنجازها داخل حقل البحث الاجتماعي. و جل ذلك تم تطوير أدوات بحثية كاملة سواء للدراسات النظرية أو الإمبريقية. أما إبحاث حول الحركات الإسلامية فقد بقيت في الغالب خارج حقل السوسيولوجيا، إذ تم التعامل معها على أنها حكر للعلوم الإسلامية التي تعتبر نفسها علوم فقه- لغوية تستهدف النص فحسب، وتميل بالتالي إلى النظر إلى كل الظواهر الاجتماعية في البلدان الإسلامية من خلال منظور ديني".

وتؤكد الباحثة المانية، التي تنتشر في بلادها العشرات من معاهد العلوم الإسلامية والدراسات الشرقية ضمن نطاق الجامعات والمؤسسات الأكاديمية، أنه كثيراً ما لا توجد لتلك العلوم الإسلامية أية علاقة بالواقع الاجتماعي الذي تنشأ وتتطور فيه الحركات الإسلامية وما تنتج من خطاب، وعليه لا يصبح بإمكان تلك العلوم الإسلامية تفسير المعنى الاجتماعي لهذا الخطاب"، على حد تقديرها.

كان لله بكليته

يقول الشيخ محمد الحامد شيخ علماء حماه:

"الذي أثر في نفسي تأثيراً من نوع خاص، وله يد في تكويني الشخصي، سيدي وأخي في الله وأستاذي، الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله، وأغدق عليه غيوث الإحسان والكرم. صحبتته في مصر سنيناً، وحديثي عنه لو بسطته، لكان طويل الذيل، ولكانت كلماته، قطعاً من قلبي، وافلاذاً من كبدي، وحرقة من حرارة روحي، ودموعاً منهلة منسجمة تشكل سيلاً من فاجع لم وعظيم اللوعة.

ولكنني أكتفي بالإيجاز من الإطناب، وبالاختصار من التطويل، وقد بكيت كثيراً بعد استشهاد علي ناي الدار وشط المزار، ولا أزال أذكره حتى ألقاه في زمرة الصالحين إن شاء الله تعالى وتبارك.

إنه أخي قبل إخواني في النسب، ولما وافاني بآ اغتياله قلت: إن موت ولدي- ولم يكن لي غيرهما حينئذ- أهون عليّ من وفاة أستاذ المرشد.

وكنت رأيت فيما يرى النائم ليلة قتل، ولا علم عندي بالذي حصل، رأيت أننا في معركة مع اليهود، وقد بدأ التفهق في جندنا؛ حتى إنني مشي منحنيّاً؛ لئلا يصيبني رصاصهم، فاستيقظت واستعدت بالله من شر هذه الرؤيا... وفي النهار ألقى إليّ بعض الناس الخبر، فكان وقعه أشد من شديد، وكان تأويل رؤياي.

إنني أقولها كلمة حرة ولا بأس بروايتها عندي، أقول: إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، في مجموع الصفات التي تحلى بها، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف. لا أنكر إرشاد المرشدين وعلم العالمين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء والكاتبين، وقيادة القادتين، وتدبير المنبرين، وحنكة السائسين.

لا أنكر هذا كله عليهم، من سابقين ولأحقين، لكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمالات، فلما ظفر به أحد كالأمام الشهيد رحمه الله.

لقد عرفه الناس وأمنوا بصدقه، وكنتم واحداً من هؤلاء العارفين به، والذي أقوله فيه قولاً جامعاً: هو أنه كان لله بكليته، بروحه وجسده،

بقالبه وقلبه، بنصرفاته وقلبه، كان لله، فكان الله له، واجتباه وجعله من سادات الشهداء أ برار. إن سيدي وأخي الإمام الشهيد، ذو وفاء في حياته وبعد وفاته، فقد تراءى لي في المنام كثيراً في مدى سنين، وقد رأيت فيما يرى أني جالس معه في جملة من أصحابنا، على مائدة فيها أطباق خبز وأطباق ریحان يؤكل، لكنه ریحان من النوع الممتاز، فاستيقظت، وذكرت قول الله تعالى: (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّاتٌ نَعِيمٌ).

لا إله إلا الله منهج حياة

بقلم الشهيد سيد قطب

((3))

وهذا يقودنا إلى القضية الخطيرة وهي منهج الإسلام في مواجهة الواقع البشري كله .. اليوم وغداً وإلى آخر الزمان .. وهنا ينفعنا ما قرناه في الفقرة الأولى عن "طبيعة المجتمع المسلم" ، وقيامه على العبودية لله وحده في أمره كله . إن تحديد هذه الطبيعة يجب إجابة حاسمة عن هذا السؤال :

- ما أصل الذي ترجع إليه الحياة البشرية وتقوم عليه ؟ أهو دين الله ومنهجه للحياة ؟ أم هو الواقع البشري أبداً كان ؟

إن الإسلام يجب على هذا السؤال إجابة حاسمة لا يتلصم فيها ولا يتردد لحظة .. إن أصل الذي يجب أن ترجع إليه الحياة البشرية بجمليتها هو دين الله ومنهجه للحياة .. إن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله التي هي ركن الإسلام الأول ، لا تقوم ولا تؤدي إلا أن يكون هذا هو أصل .. وأن العبودية لله وحده مع التلقي في كيفية هذه العبودية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تتحقق إلا أن يعترف بهذا أصل ، ثم يتبع اتباعاً كاملاً بلا تلصم ولا تردد :

{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر : 7]

ثم إن الإسلام يسأل : { أأنتم أعلم أم الله ؟ }

ويجب : { واللّٰه يعلم وأنتم لا تعلمون } .. { وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً } ..

والذي يعلم - والذي يخلق ويرزق كذلك - هو الذي يحكم .. ودينه الذي هو منهجه للحياة ، هو أصل الذي ترجع إليه الحياة .. أما واقع البشر ونظرياتهم ومذاهبهم فهي تفسد وتتحرف ، وتقوم على علم البشر الذين لا يعلمون ، والذين لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً ! ودين الله ليس غامضاً ، ومنهجه للحياة ليس مائعاً .. فهو محدد بشطر الشهادة الثاني : محمد رسول الله ، فهو محصور فيما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من النصوص في أصول .. فإن كان هناك نص فالنص هو الحكم ، ولا اجتهاد مع النص .

وإن لم يكن هناك نص فهنا يجيء دور الاجتهاد - وفق أصوله المقررة في منهج الله ذاته . لا وفق أهواء والرغبات - :

{ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } .. [النساء : 59]

وأصول المقررة للاجتهاد والاستنباط مقررة كذلك ومعروفة وليست غامضة ولا مائعة .. فليس حد أن يقول لشرع بشرعه: هذا شرع الله ، إلا أن تكون الحاكمة العليا الله معلنة ، وأن يكون مصدر السلطات هو الله سبحانه لا (الشعب) ولا (الحزب) ولا أي من البشر ، وأن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله لمعرفة ما يريد الله ولا يكون هذا لكل من يريد أن يدعي سلطاناً باسم الله .. كالذي عرفته أوروبا ذات يوم باسم " النيوقراطية " أو " الحكم المقدس " فليس شيء من هذا في الإسلام . وما يملك أحد أن ينطق باسم الله إلا رسوله - صلى الله عليه وسلم - وإنما هناك نصوص معينة هي التي تحدد ما شرع الله .. إن كلمة " الدين للواقع " يساء فهمها ، ويساء استخدامها كذلك .

نعم إن هذا الدين للواقع .. ولكن أي واقع !

.. إنه الواقع الذي ينشئه هذا الدين نفسه، وفق منهجه، منطبقاً على الفطرة البشرية في سوانها، ومحققاً للحاجات الإنسانية الحقيقية في شمولها .. هذه الحاجات التي يقررها الذي خلق، والذي يعلم من خلق: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الملك : 14] .

والذين لا يواجه الواقع أياً كان ليفرّه ويبحث له عن سند منه ، وعن حكم شرعي يعلقه عليه كالكالفة المستعارة ! إنما يواجه الواقع ليزنه بميزانه ، فيقرر منه ما يقر ، ويلغي منه ما يلغي ، وينشئ واقعاً غيره إن كان لا يرتضيه ، وواقعه الذي ينشئه هو الواقع . وهذا هو المعنى بأن الإسلام : " دين للواقع " .. أو ما يجب أن تعنيه في مفهومها الصحيح ! ولعله يثار هنا سؤال : " أليست مصلحة البشر هي التي يجب أن تصوغ واقعهم ؟ " .

ومرة أخرى نرجع إلى السؤال الذي يطرحه الإسلام ويجب عليه :

- { أأنتم أعلم أم الله ؟ }

- { واللّٰه يعلم وأنتم لا تعلمون } !

إن مصلحة البشر متضمنة في شرع الله ، كما أنزله الله ، وكما بلغه عنه رسول الله .. فإذا بدا للبشر ذات يوم أن مصلحةهم في مخالفة ما شرع الله لهم ، فهم .. " واهمون " فيما بدا لهم .. { إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى النَّفْسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ، أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ، فَلِلّٰهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى } ... [النجم : 23-25]

الشهيد حسن البنا
والاقتصاد المصري
قواعد النظام الاقتصادي

في الإسلام

((5))

العمل على كل قادر

في الإسلام الحث على العمل والكسب ، واعتبار الكسب واجباً على كل قادر عليه ، والثناء كل الثناء على العمال والمحترفين ، وتحريم السؤال ، وإعلان أن من أفضل العبادات العمل ، وأن العمل من سنة أنبياء ، وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد ، والزراية على أهل البطالة ، والذين هم عائلة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم ، ولو كان الانقطاع لعبادة الله .

فإن الإسلام لا يعرف هذا الضرب من التبطل .. والتوكل على الله إنما هو أخذ في أسباب أيضاً بالفتاح ، فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل .. والرزق المقدر مقرن بالسعي الدائب ، والله تبارك وتعالى يقول : { وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (التوبة : 105) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .. ويقول عمر : " لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) .. وفي الحديث : (ولا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم) .

الكشف عن منابع الثروات

كما أن فيه لفت النظر إلى ما في الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير ، والحث على العناية بها ووجوب استغلالها ، وأن كل ما في هذا الكون العجيب مسخر للإنسان ليستفيد منه وينتفع به ، { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ رِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } .. (لقمان : 20) ، { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } (الجاثية : 13) . ومن قرأ آيات القرآن الكريم ، علم تفصيل ذلك بأوسع بيان وأوفاه .

تحريم الكسب الخبيث

ومن تعاليمه: تحريم موارد الكسب الخبيثة ، وتحديد الخيث في الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل: كالربا والقمار والبناصيب ونحوها ، أو كان بغير حق: كالنصب والسرقة والغش ونحوها .. أو كان عوضاً لما يضر: ككثن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها . فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ، ولا يعترف بها .

التقريب بين الطبقات

وقد عمل الإسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ومظاهر الترف على أغنياء ، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء ، وتقرير حقهم في مال الدولة ومال أغنياء ، ووصف الطريق العملي لذلك . وأكثر من الحث على الإنفاق في وجوه الخير والترغيب في ذلك ، وذم البخل والرياء والمن والذى ، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } .. (المائدة : 2) .

حرمة المال واحترام الملكيات

وقرر حرمة المال ، واحترام الملكية الخاصة ما دامت لا تتعارض مع المصلحة العامة: (كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله) .. و (لا ضرر ولا ضرار) ..